# تقانات القصّ الطِفلي – قراءة في قصص سريعة سليم حديد–

# Childhood storytelling techniques
# - Reading in stories sariia Salim Hadid-

فاطمة الزهراء عطية[1] *، أسماء جعيل[2]

[1] المركز الجامعي بريكة (الجزائر)، fatima.attia@cu-barika.dz

[2] المركز الجامعي بريكة (الجزائر)، djailasma1@gmail.com

[1*], Fatima Zohra Attia [2] Asma Djail

[1] University Center of Barika (Algeria)

[2] University Center of Barika (Algeria)

تاريخ الاستلام:2021/07/26 تاريخ القبول:2022/02/10 تاريخ النشر:2022/04/15

**ملخص:** الكتابة في مجال أدب الأطفال ليست بالأمر السهل، فالكاتب عليه أن يرضي ذائقة شريحة غضَّة نضرة لا تقبل التصنع أو العبث بمكوناتها العقلية الطرية الحساسة. من هنا نوجه اهتمامنا نحو الإضاءة على أهم الكتاب المشهورين في مجال قصص الأطفال لما لهم من خبرة واسعة ودراية كبيرة والمعروفين على الساحة الأدبية الطفلية بشكل لافت.

وبهذا لمعت كثير الأقلام المبدعة للأطفال كسريعة سليم حديد، التي أدركت ما لأدب الأطفال من درجة عالية ودور فعال في تنشئة الطفل وتنمية وعيه وقدراته الفكرية والمعرفية، وذلك بطريقة تناسب مرحلته العمرية. من هنا عقدنا العزم على الاتجاه إلى هذا الباب، وانطلقت المقالة لدراسة نماذج مختارة من قصص القاصة، وقصدنا في هذا اكتشاف الجانب التوعوي الأخلاقي، والممتع في هذه القصص، لأجل ذلك وجدنا أنفسنا أمام الإشكالية التي تطرح نفسها: كيف تشكل عالم الطفل في قصص سريعة سليم حديد؟ وما تقنيات هذا العالم وآلياته؟

ولولوج كل تلك المحطات استعنا بالمنهج التاريخي للتعريف بأدب وقصة الطفل، كما تطلب منا هذا المقال الاستعانة أيضا بالمنهج الفني، وكان ذلك في الدراسة التطبيقية للنماذج القصصية التي اخترناها.

**الكلمات المتاحية:** أدب – الطفل – القصة – سريعة سليم حديد.

**Abstract**:

In this article, we look at some of the most important writers in the field of children's literature, who are remarkably well-known in the children's literary scene. From there, we turn attention to highlighting the most famous famous writers due to their vast experience and knowledge, who have written for children's books.

In the early stages of development, children's stories played an important role in the development of a child's consciousness and abilities, intellectual and cognitive, in an age-appropriate way. We studied selected examples of stories by storytellers, and we wanted to discover the ethical and playful aspects of these stories. What are the techniques and mechanisms of this world? From there, we decided to go to this section, and the article focused on studying selected examples from the world of children's literature.

To access all these stations, we have used the historical method to define children's literature and storytelling, and this article has also forced us to use the artistic method, particularly in the applied study of the narrative models that we have chosen.

**Keywords:** Literature - Child - History - Sariaa Salim Hadid

*المؤلف المرسل.

**تمهيد:**

للطفل أهمية كبيرة في حياة المجتمعات، فالطفولة أرض خصبة للبناء والنماء، والاهتمام بها ضرب من ضروب التحضر والرقي، فضلا عن كونه مطلبا إنسانيا محترما؛ لأن الطفل رجل الغد وبنت المستقبل، فالطفولة السعيدة تقود إلى مراهقة سعيدة، والمراهقة السعيدة تقود بدورها إلى مرحلة شبابية سعيدة، وهكذا.

فمن الآداب الإنسانية المساهمة في تنمية قدرات الطفل والعمل على تربيته نجد أدب الطفولة أو أدب مرحلة الطفولة؛ باعتباره المعبر عن الطفولة الغرس المنتظر لبناء أمة واعدة تعمر الأرض، فالأطفال سلاح الحاضر وذخيرة المستقبل في أيّ مجتمع يخطط لبناء الإنسان السوي الناضج إلى حد بعيد.

فكان لتنشئة الطفولة عدّة فنون أدبية لكل منها أهدافها وأهميتها وتأثيرها على الطفل، وقد عدّت القصة في نظر الباحثين هي الأقرب إلى سلوك الطفل وتوعيته وإرشاده، لذلك فقصص الأطفال تمثل مجالا حيويا من مجالات التربية؛ لأنها على صلة مباشرة مع عقل الطفل ووجدانه، تهدف إلى غرس الأثر الذي يخدم شخصيته عن طريق خطاب النصح والأخلاق والثقافة الدينية والعلمية، وأيضا إثارة التسلية والترفيه.

**1/ في مفهوم أدب الطفولة**:أدب الطفل أدب قديم حديث، فقد كانت الأمهات والجدات يقصصن الأساطير والخرافات للأطفال خصوصا قبل وقت النوم، وكانت هذه القصص والخرافات تشد اهتمام الطفل، فكثيرا ما يتخيل أن ذلك البطل الجبار القوي الذي يستطيع بضربة واحدة أن يقتل مائة رجل أو أن يقطع نخلة ضخمة، وكثيرا ما كان الأطفال يطلبون من أمهاتهم أو جداتهم الاستمرار في السرد، حينما تحاول الأمهات أو الجدات التوقف. (دياب، 1995، صفحة 17)

ويرى أحمد نجيب أن أدب الطفولة ينقسم إلى قسمين رئيسين:

**1-1: أدب الطفولة بمعناه العام:** يُقصد به الإنتاج العقلي للمدونة في كتب موجهة للأطفال في مختلف فروع المعرفة، مثل: الكتب المدرسية والكتب العلمية المبسطة.

**1-2: أدب الطفولة بمعناه الخاص:** يُقصد به الكلام الجيد الذي يُحدث في نفوس الأطفال متعة فنية، سواء أكانت شعرا أم نثرا، أو كانت شفويا بالكلام أو تحريرا بالكتابة، ومثال ذالك: القصص والمسرحيات والأناشيد. (احمد، 1992، صفحة 280،279ينظر)

ويري العيد جلولي: أنه مادام أدب الأطفال جزء من الأدب بشكل عام، فإنه يمكن قراءته ودراسته وتحليله وتعلمه وانتشاره بالطريقة نفسها مثل الكبار. (جلولي، بدون سنة نشر، صفحة 08ينظر)

وغير بعيد عن المفاهيم السابقة هناك بعض الكتاب والدارسين من يرى أن أدب الطفل هو كل ما يقدم من مادة أدبية أو علمية للطفل، "بصورة مكتوبة أو منطوقة أو مرئية تتوفر فيه معايير الأدب الجديد وتراعي خصائص نمو الأطفال وحاجاتهم، وتتفق مع ميولهم واستعدادهم، وتسهم في بناء الأطر المعرفية الثقافية، والعاطفية القيمية، والسلوكية المهارية وصولا إلى بناء شخصية سوية متزنة تتأثر بالمجتمع الذي نعيش فيه وتؤثر فيه إيجابيا". (عبد الوهاب أحمد، 2006، صفحة 49)

ولذلك يعد أدب الأطفال من الآداب المتميّزة حيث ينمو الطفل وجدانيا ومعرفيا، كما أنه يمثل جانبا هاما من جوانب التربية الباعثة في نفسه حب المسؤولية، وهنا يمكن تعريفه أيضا بأنه "أدب واسع المجال متعدد الجوانب ومتغير الأبعاد طبقا لاعتبارات كثيرة، منها مثل :نوع الأدب نفسه والسن الموجه إليه هذا الأدب، وغير ذلك من الاعتبارات،

فأدب الأطفال لا يعني مجرد قصة أو حكاية نثرية أو شعرية؛ وإنما يشمل المعارف الإنسانية كله" (عبد الفتاح، 2000، صفحة 18)، ويعني هذا أن أدب الأطفال واسع المجال متعدد الأهداف، فأدب الأطفال ليس هدفه معرفة الفنون الشعبية والنثرية فحسب، بل يشمل كل الأهداف العقائدية والتربوية والتعليمية والترفيهية.

بعد هذا العرض لبعض تعاريف أدب الطفل، نلاحظ اشتراكها في بعض الأمور، من قبيل:

- هو أدب موجه للطفل بالدرجة الأولى.
- يكون هذا الأدب بأشكال متنوعة مثل: الشعر، النثر، مادة مكتوبة أو مقروءة أو مسموعة.
- الاهتمام بالخصائص النمائية للطفل في جميع مراحلها.
- الأثر الذي يحدثه من متعة وتشويق على نفسية الطفل.
- التركيز على الأهداف الرئيسية من تقديم هذا الأدب للطفل.

وخلاصة لمفهوم أدب الأطفال؛ فهو أدب متعدد الجوانب متغير الاتجاهات له أهدافه وأهميته ومميزاته كغيره من الآداب الأخرى، لذلك يعد جزءا من الأدب العام، وبالتالي، فهو الأدب الموجه إلى فئة معينة من المجتمع يخص فئة الأطفال حيث يخاطب الطفل حسب عمره وقدراته العقلية والنفسية بهدف تطوير ذاته، وحسب سلوكه ومراعاة كل الجوانب اللازمة التي يحتاجها الطفل لبناء مستقبل واع وصالح وناجح ليسمو به نحو الآفاق المشرقة بالخير والعلم والمعرفة والتحصيل العلمي.

**2/ القصة في أدب الطفولة:** قصة الطفل فرع من القصة عامة، يرى رشدي أحمد طعيمة أن المقصود بها؛ "كل ما يكتب بقصد الإمتاع أو التسلية أو التثقيف، ويروي أحداثا وقعت لشخصيات معينة سواء أكانت هذه الشخصيات واقعية أم خيالية وسواء أكانت تنتمي لعالم الكائنات الحية أم الجان".(طعيمة، 1998، صفحة 42)

وهي عند أحمد زلط "لون قرائي فني متعدد المضامين، يكتبها الكبار للأطفال وتشتمل على عناصر بناء القصة عند الكبار مثل الحدث، الشخصية، بيئة القصة الزمانية والمكانية، السرد القصصي، العقدة الفنية، الانفراج، ويراعي كاتب القصة تبسيط تلك العناصر لتناسب المراحل العمرية النمائية عند الأطفال، وقدراتهم في الاستيعاب والتلقي". (زلط، 1998، صفحة 16)

وشبه محمد حسن عبد الله قصص الأطفال بالغذاء الذي يحتوي على عناصر أساسية لنموه "قصص الأطفال مثل غذاء الأطفال يجب أن يحتوي على جميع العناصر الأساسية المطلوبة لنمو الجسم والعقل ولكن بمقادير تستوعبها معدة الطفل وتكون قادرة على هضمها." (عبد الله، بدون سنة نشر، صفحة 09)

من خلال ما ورد من تعريفات، نستنتج أن القصة الموجهة للطفل؛ شكل فني من أشكال أدب الأطفال فيه متعة وخيال، وهي كل ما يكتب لهم قصد تلبية حاجتهم إلى المعرفة والتسلية والتثقيف، وهي في الوقت نفسه "تلبي حاجاتهم إلى التغيير أو التحرر من الواقع بالخروج مع القصة إلى عالم الخيال ثم العودة إلى الواقع (...) وتغذي الأسئلة وحب الاستطلاع لديهم، وحاجة الأطفال إلى الجمال والنظام، فتوفرها من خلال النص والرسوم على السواء". (بثور، بدون سنة نشر، صفحة 30)

وحيث إن لكل عمل فني خصائص وميزات، فالقصة لها خصائص أساسية إذا ما اكتملت تلك الخصائص أصبحت لوناً أدبياً شائعاً هادفاً، يذكر الباحث إعجاز أحمد بعضها:

– الالتزام الخلقي والشرعي بآداب الدين وقيمه ومثله وتصوراته ونظرته الشمولية للكون والحياة والإنسان.

– الاقتصاد المتمثل في تقديم الأفكار بصيغ لا ترهق الطفل ولا تكلفه جهود كبيرة، وذلك باستخدام كلمات وتعابير واضحة لا تحتمل أكثر من معنى واحد، وأن تكون التّعابير واضحة مع عدم وجود الإطناب، وألا ترهق الطفل بكثرة المصطلحات والإطناب.

– أن تكون رموز أدب الطفل مباشرة تحتاج إلى لمس خفيف في القدرة الذهنية، لتتعرى هذه الرموز وتتضح أبعادها وضوحا جليا.

– تعبيره عن الخبرات الانفعالية لدى الأطفال، مع مراعاة خصائص نموهم بحيث ينمي قدرات الطفل على التفكير والتحليل من خلال تقديمه خبرات جديدة. (ينظر أحمد، أدب الأطفال: أهميته، فوائده، وخصائصه، جانفي – مارس 2019)

ويضيف ميزات أخرى من مثل:

– وجود المقومات الفنية الجاذبة للطفل كالحوار والحدث البسيط، والحبكة السهلة في القصة.

– أن يشمل أدب الأطفال خصائص فكرية تتعلق بنوع من الخيال، وأن يبتعد عن التجريد ويلجأ للحس.

– أن يتصف بالوضوح وبساطة العرض وسهولة اللغة.

– أن تكون الجمل قصيرة والمفردات واضحة.

– الاختصار والتركيز والوصول إلى المعنى بأقل عدد ممكن من المفردات، ولا بأس بالتكرار غير الممل والتأكيد غير المتكلف.

– استخدام أسلوب المفاجأة وعنصر التشويق والإثارة والتنوع في التعبير بين المبني للمجهول والمحاورة والأسئلة، ثم العودة إلى الصيغ البسيطة فإنها تساعد في نجاح وصول المادة إلى الطفل، وتدعوه أيضا لمواصلة القراءة.

– ومن أبرز خصائص أسلوب أدب الأطفال: الوضوح والتلقائية والقوة والجمال، فحيثما وجد يلقى القبول؛ لأن الغموض والتكلف والألفاظ الصعبة كلها من دواعي العزوف عن القراءة حتى لو كانت في قوالب فنية جميلة. (ينظر أحمد)

الأوفق بنا بعد أن ألمعنا إلى تلك المفاهيم التي ضمها الجانب النظري لقصة الطفل أن نعرج على تجربة القاصة سريعة حديد في هذا المجال، الذي يعد لبنة جديدة في هذا البناء الذي خطّت أسسه بخطوات متزنة، والتي تعد أكثر التجارب أصالة وعطاء من الناحيتين الكمية والنوعية وتستند إلى مجموعة من القدرات اللغوية والإيقاعية والنفسية.

ويمكن الوقوف على هذه التجربة بالوقوف على هاته المحاور:

**3/ التعريف بالأديبة سريعة سليم حديد:** الأديبة سريعة سليم حديد، هي عضو اتحاد الكتّاب العرب في سوريا، لها عديد المجموعات القصصية، تنشر في المجلات السورية والعربية، وفائزة في مسابقات كثيرة خاصة بأدب

الأطفال (ينظر: مع الأديبة: سريعة سليم حديد، حوار: مصطفى العمراني: قصص الأطفال قد انحرفت عن مسارها الحقيقي, وجنحت نحو اللعب على الفكرة الواحدة)، ولها "كتابات في مجال المسرح". (نفسه)

أصدر لها اتحاد الكتاب العرب أربع مجموعات قصصية للأطفال:

1- زهرة النرجس: في 2008م.

2- تاج الملك والنحلة المغرورة: في 2010م.

3- الأجراس البنفسجيَّة: في 2013م.

4- مدينة بلا عصافير: عام 2014م.

- فائزة بجائزة وزارة الثقافة في قصَّة طويلة للأطفال بعنوان: شدّوان والدفتر الأحمر في 2008م . (حديد،)
- صدر لها مجموعة قصصيَّة في القاهرة بعنوان: حبَّة التوت: عام 2014م.
- مجموعة خواطر شعريَّة عن دار التوحيدي للنشر عام 2002م، بعنوان: حبيبي والمساء.
- مجموعة قصصية عن دار الإرشاد بعنوان: الليرات الفضيَّة. (المرجع نفسه، الموقع نفسه)
- مجموعة قصصية للأطفال بعنوان: عقد اللؤلؤ.

**4/ عوالم القصة الطفولية عند سريعة سليم حديد:** يلاحظ القارئ في عوالم سريعة سليم حديد أن نصها القصصي زاخر دائما بالدهشة والعفوية والمتعة الفائقة؛ لأنه ببساطة موجه إلى المتلقي الصغير، فالقاصة تدرك تمام الإدراك أن الكتابة الموجهة للطفل تختلف تماما عن الكتابة الموجهة للكبار ، فلزاما عليها أن تكون في كامل وعيها وإدراكها لما تكتب أو تطرح من أفكار؛ لأنه "ليس كل ما يقال أو يطرح يناسب عقلية هذا الطفل (...) ولا سيما أنه يتعامل مع أطفال من بيئات اجتماعية مختلفة وأعمار مختلفة وسلوكيات تربوية مختلفة". (مفتاح، 2011، صفحة 32)

نحن الآن، بصدد الحديث عن تجربة أدبية مبدعة شكلت جزءا لا يتجزأ من نسيج الأدب القصصي الطفولي، فقد تميزت نصوصها بعدة خصائص جمالية، متعددة الدلالات، غنية بالجمال والإدهاش، محفزة على القراءة وتعدد الاحتمالات.

هي تجربة بها كثير المتعة، تحتاج إلى دراسة دقيقة لكل كلمة تُكتب، والبحث عن الطريقة التي توصل إلى كيفية الدخول لقلب الطفل وإقناعه بما يحب، "كيف لنا أن نوفر له المستوى الجمالي اللائق بذوقه وعقله، كيف نضحكه ونوجهه ونرسم له عالماً يناسب إدراكه، ويجعله يستمتع بما يقرأ، خاصة في ظل موجة التقدم التكنولوجي الحديثة، فكاتب الأطفال الآن يختلف عن كاتب الأطفال في الزمن الفائت، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار القدرات العقلية الكبيرة التي نمت لدى الطفل اليوم والتي تختلف مئات الدرجات عن القدرات العقلية لأطفال ما قبل التكنولوجيا". (المرجع نفسه)

إلى جانب هذا القاصة تهتم بالعامل النفسي، ودوره في حل المشاكل التي يواجهها الطفل، وعلى هذا الأساس فإنّ الطفل الذي يَستطيعُ أن يتوافَقَ داخليّاً مع نفسه، ويُحسن تكيّفه مع بيئته سيَتمتّع بصحةٍ نفسيةٍ جيدةٍ لا محالة، تقول مفسرة هذا الاهتمام: "لقد اطلعت على عدة كتب في مجال علم النفس، مما وفَّر لي الأرضية المناسبة لكتابة قصة موجهة بشكل علمي للأطفال، وعندما قرأتها على العديد منهم وجدتها تلاقي

صدى جيداً، وهذا مما شجَّعني على المتابعة. هي قصص تلعب على تنشيط العامل الإرادي لدى الطفل وحثِّه على تجاوز الصعوبات والمخاوف، التي يتعرَّض لها". (السابق)

نسوق هذه المقدمة للدخول إلى عوالم مجموعاتها القصصية، فنلمس البساطة الواضحة لهذه النصوص – ابتداءً– من بنية العنونة الموسومة قصديا إلى منظوماتها القصصية التي تنتقل من عالم الطفولة المثير بأحلامه ومقاصده ورغباته إلى مد جسورها الخفية مع عالم الكبار، وللذات الكاتبة التي تقدم نصها الحكائي في جمالية التّراكم الفني والمعرفي للطبيعة البشرية.

من عناوين مجموعاتها القصصية (زهرة النرجس، تاج الملك والنحلة المغرورة، الأجراس البنفسجيَّة، مدينة بلا عصافير، حبَّة التوت) يهيّئ القارئ نفسه للطواف مع القاصّة في عوالم عديدة وغنية، ويكتشف معها، أو لوحده كمتلقٍّ مشارك، حالاتٍ وجدانية إنسانية، وتربوية، وعلمية، وكمًّا من عطر مدن الياسمين الشامية، وسطَ طغيان النزعة المادية في الحياة التي تسحق بمسنناتها الضخمة آلاف البشر.

وقد استطاعت القاصة أن تخوض غمار هذه المسائل كلها، أو بعضها، فتشبعها معالجة، وتأكيدا، ورقة، فباعها يفي بالغرض حين تراودها من مداخل جمالية، أو نفسية، أو رمزية بأدوات فنية مرهفة، ورؤية يمتزج فيها العقل بالوجدان بالخيال، كما تفعل قصة فنية ناجحة، لتستقر في أعماقنا ومشاعرنا مطمئنة إلى السكن الأرحب، والأدفأ، والأكثر خلوداً.

الواضح أن عناوين قصصها مشتغل عليها بعناية، وقد نحتاج إلى تأمل بعضها إثر الخلوص من قراءة القصة؛ لندرك أنها كانت عتبة نصية تستمدّ قيمتها كلحظة تنوير، أو رؤية مكثفة، أو عنوان مراوغ يدخل في صميم فنيات القصة.

فعنوان المجموعة القصصية "زهرة النرجس" نص صغير يعد مدخلا لنص كبير، وهو المفتاح الذي يجذب القارئ، فاختيار العنوان من أولويات المؤلف بواسطته يتم لفت انتباه القارئ، فالكاتبة "سريعة سليم حديد" وضعت العنوان مناسبا للمجموعة فهو لافت للأنظار من الوهلة الأولى "زهرة النرجس" عنوان بارز يمثل واحدة من الأزهار الربيعية العطرية، الواسعة الانتشار في العالم.

وحتى نفهم المجموعة القصصية ونعرف خباياها وأسرارها، لا بد من تصفحها وقراءتها، فمن العنوان يتضح أنها "قصة زهرة" يعني "رائحة عطرة" فالمقصود بالزهرة هنا بعث فكرة حب الجمال والنبات باعتباره كائن حي ذا دور فعال في الحياة، وهنا القصة تكون عبارة عن حكاية إنتاج الأزهار ونشرها في بقاع الأرض.

وفي هذا الإطار، تبرز فاعلية الإشارة حول أهمية وجود الأزهار في الحياة من خلال العنوان الثاني "الأجراس البنفسجية"؛ فهنا تدليل إشاري حول سكن البنفسج في حقولنا ومراتعنا الخضراء، وبالتالي، يبرز تمهيد توضيحي لذكر رمز زهرة "البنفسج" حيث يتضح لبس عنوان المجموعة القصصية، فالكاتبة أعطت لونا للعالم الواقعي لا يشبه العالم الخيالي الذي نتخيله، حيث تزهى الوجوه والأحاسيس وكل شيء يتبدل، وأمام كل هذا يبدو واضحا بأن القاصة تكشف قصة زهرة اسمها"بنفسج" على أساس استظهار (الجمال/ الرائحة/ النبات) وهذا الحال ينطبق على أحداث المجموعة القصصية "الأجراس البنفسجيَّة".

وزيادة على هذا أيضا، نود أن نلج عالم المجموعة القصصية "تاج الملك والنحلة المغرورة"، حيث ينبئ العنوان عن حكاية قصصية أخاذة بمثابة الإشعاع الفياض الذي نستمد من خلاله شعورنا بجمالية وأصالة فن الكتابة لدى سريعة سليم حديد، كيف لا؟ وهي فنانة تبحث عن فلسفة الصراع بين النبات والحيوان، فالنحلة المغرورة ترفض صداقة نبتة تاج الملك؛ لأنها لا تجد أي جمال فيها، ولكن سرعان ما تكتشف أن تلك النبتة الشوكية تستطيع تقديم ورود جميلة ومدهشة.

إن هذا الطرح لأجواء الصراع بين الخير والشر/ الجمال والبشاعة يساعد في تمهيد الطريق إلى الدخول في عوالم عنوان المجموعة "مدينة بلا عصافير"، فالمدينة لا تقوم لها قائمة إلا بوجود العصافير الدالة على الحياة والحركية والاستمرار.

إننا نختصر التحليل لنلج العنوان الآتي "حبَّة التوت" حيث يحضر نبات التوت برمزيته على الجاذبية، برمزيته على السهولة فالتوت سهلَ النمو في الأغلب، كما أن شجرة التوت من الأشجار المعمرة والمثمرة، وهي شجرة كبيرة كثيفة الأغصان والأوراق.

تنادي القاصة بالمعاني التي تحملها نبتة التوت من خلال الكتابة للطفل بطرق لطيفة موجهة بسيطة تجعله يفكر بشكل جيد بما حوله، ويجد الحلول المناسبة لما يعاني منه، وهنا نحن نبعده عن أجواء الحرب أو المآسي اليومية التي تحدث.

سريعة سليم حديد كاتبة تمسك بأدواتها التعبيرية والفنية بالشكل الذي يمكنها كم رسم شخوصها وأبطالها بعيدا عن التصنع وتزييف الواقع، ففي قصة (الكون يرسم) من مجموعة (الأجراس البنفسجيَّة) مثلاً نكتشف تركيز القاصة على تقنيات فنية لافتة:

1- **الألوان:** توظف القاصة اللون الأبيض في نصها، باعتباره الفضاء المعنوي الأوسع، وكأنها "تذكِّرنا بقرص نيوتن الذي تتجمَّع فيه الألوان كافة لتولد لنا ذلك الإشعاع، وقد تومئ بذلك إلى براءة الطفولة، التي تتقمَّص تعاليم الكون المقدَّسة" (ابراهيم)، فهو لون شامل لكل الألوان "شَاهَدْتُ الثَّلْجَ كَيْفَ يَرَسُمُ الجِبَالَ، كَيْفَ يُخَطِّطُ أَغْصَانَ الأَشْجَارِ, دُرُوْبَ الأَرْضِ المحْرُوْثَةِ، أَسْطِحَةَ المَنَازِلِ، لَكِنَّهُ لا يَمْلِكُ إلا لَوْنَاً وَاحِدَاً بَهِيَّاً، مَا أَرْوَعَهُ مِنْ لَوْنٍ". (حديد، 2013)

برز في المقطع أعلاه استغلال القاصة لإمكانات اللون الأبيض، الذي يرمز للسلام والأمن والطمأنينة والنقاء وكلها معان تريد القاصة بعثها في نفسية الطفل لتساهم في تكوينه.

تبقى القاصة مركزة على عنصر اللون، فتلجأ لألوان كثيرة – كالأحمر، والأصفر، والأزرق...وغيرهم – وهذا مقصود؛ لأن هذه الألوان تضفي حركية وضجيجاً إيقاعيًّا يساهم في إثارة الخيال وجذب المتلقي الصغير، ليكشف له المدلول في مكان ما من جهة، ويدخل المرح إلى نفسه من جهة أخرى.

إن هذه الشبكة اللونية من العلاقات اللونيَّة المتداخلة تكسب النص بهجة تجعله لوحة مزركشة مزينة، وهذا ما نجده في النص الآتي: "الغُيُوْمُ رَائِعَةُ الجَمَالِ، أَتَعْرِفُوْنَ مَتَى؟ سَأَقُوْلُ لَكُمْ: قَبْلَ غُرُوْبِ الشَّمْسِ، وهي تَتَرَاقَصُ بِأَطْرَافِهَا الذَّهَبِيَّةِ، والزَّرْقَاءِ والحَمْرَاءِ والصَّفْرَاءِ والنَّارِيَّةِ، وَكَأَنَّهَا اِسْتَعَارَتْ عُلْبَةَ أَلْوَانِ قَوْسِ قُزَحٍ. آهٍ، صَحْيحٌ، قَوْسُ

قُزَحٍ، هُوَ مَاهِرٌ فِيْ رَسْمِ الأَقْوَاسِ، وتَلْوِيْنِهَا، أَنْتُمْ تَعْرِفُوْنَ، كَمْ هُوَ بَارِعٌ فِيْ الظُّهُوْرِ بَعْدَ المطَرِ! يطلُّ عَبْرَ القَطَرَاتِ العَالِقَةِ فِي الهَوَاءِ، فَتَصْبِحُ كُلُّ قَطْرَةٍ مَوْشُوْرَاً يَعْكِسُ الأَلْوَانَ". (حديد، مرجع سابق)

وهكذا، أدت الألوان دورا بارزا في القصص، فكل لون له دلالته الخاصة، ولا يوضع اعتباطا دون موضعه المناسب.

وتواصل القاصة سريعة استدعاء الوسائل والفنون التي تقدم من خلالها عديد القيم الإنسانية التي من الواجب أن يتعلمها الطفل، فنلاحظ تركيزها على فن الرسم، الذي تعتبره اللغة التعبيرية المحببة لدى الطفل، يعبر من خلاله عن أفكاره وأحاسيسه وأحلامه، نعم، هو طريقة للتعبير عن مشاعره سواء كانت سلبية أو إيجابية من جهة أولى، وهو وسيلة أساسية لتربية الطفل وتهدئته وتعديل مزاجه من جهة ثانية.

وفي سؤال وُجه للقاصة – في حوار أجري معها– حول علاقتها بفن الرسم، فقالت: "الرسم هوايتي منذ الصغر, كنت أحب كثيراً استخدام أقلام الألوان وخاصة في المزج(...) حتى إنني رسمت لصديقاتي في مقعد الدراسة (... ) ومن هنا أخذت ألوّن قصصي بألوان موهبتي، التي كانت ولا تزال تكبر في نفسي، صرت أمارس فن الرسم داخل قصصي" (وكالة المساء نيوز: حوار أجري مع القاصة )، فالرّسم عند القاصة يعلمها حب الطبيعة، وملاحظة كل مظاهرها بدقة شديدة، مع التفصيل في جمالياتها المختلفة.

وعليه، فالقاصة — من خلال بعض قصصها – أثبتت أن للرسم فوائد عديدة في تكوين شخصية الطفل، وتنمية قدراته الخيالية والحسية وأيضا الإبداعية.

**2– الأشكال**: تجعل القاصّة السّماء معرضا والغيوم رسَّاما، تصوِّر لنا مشاهد مختلفة، تدور في فلك الطفولة "غيمة تشكِّل مشهد طفلين متعانقين، وأخرى ترسم بطة ضخمة، وثالثة ترسم قطة بلا ذيل". (المرجع نفسه)

فهذه الدقة في المشاهد، بل الدقَّة في الرسوم الشكليَّة تحتسب للكاتبة، فهي تحاول إيصال المعلومة العلميَّة للطفل من خلال تلك التّصاوير المنوَّعة ما بين السّرد والحوار، فهي تتحدَّث عن آلية الرسم بأسلوب بسيط لا يخلو من الرشاقة، حيث "أريد أن أتعلم، كيف أرسم. سألت أمي هذا السؤال ، قالت: افتح الباب، واخرج، سترى حولك الكون، كيف يرسم" (المرجع نفسه)، وأطاع الصغير أمه، وخرج ليشاهد رسم الكون ومظاهر الطبيعة، في محاولته أن يغلب الشمس "سأغلبك أيتها الشمس، سأرسم أجمل من رسوماتك، وسأري لوحاتي لأمي، لتعترف بتفوقي عليك، هذا تحدٍ بيننا". (المرجع نفسه)

أما قصة (الأجراس البنفسجية) التي تحمل اسم المجموعة، فهي أقصوصة صغيرة تقوم على السرد والحوار، وقد اختارت "الكاتبة نبتة (العقربة) بطلاً للحدث، وهذا شيء جميل أن تكون النباتات أفكاراً وأبطالاً في الأعمال الأدبيَّة". (ابراهيم، مرجع سابق)

وطالما كان الأدب عموماً والأدب العربي خصوصاً أدباً وصفيَّاً، والوصف غرض رئيسي من أغراضه، فلا غرابة في أن نجد في هذه القصة وصفاً للبطل (النبتة)، إلا أن الجديد فيها هو تلك الصدمة النفسيَّة التي تحدثها كلمة (العقربة)، التي تطالعنا بها الكاتبة في بداية النص، لما لها من مدلولات سلبيَّة تنبع من الانعكاسات المتروكة في ألبوم الذاكرة عن تلك الحشرة السامة (العقرب) ثم تكشف بعد قليل أن اللفظ يدل على مدلول معاكس، فهو مخلوق رقيق وجميل. (المرجع نفسه)

سنستغرب الآن، بعد قراءتنا للنص لا نخفي تلك الدهشة التي انتابتنا من وصف الكاتبة الدقيق لشكل نبتة (العقربة) وفي أنها ذات فأل سيء "العقربة، اسم مخيف، أليس كذلك؟ لكنه لطيف حين تعرفون بأنه يطلق على نبتة جميلة، هذه النبتة التي وضعت أصيصها (أصيصها: أَصيص [مفرد]: ج أَصائصُ وأُصُص: إناء مزخرف لوضع نبات أو شجرة صغيرة فيه، ويكون من الفخّار غالبًا. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ، مج: 1، ص:30 .) أمام جارتنا سلمى عندما كانت تزورنا، نظرت إلي مبتسمة، وهي تقول: انتبه. يا صافي، إن هذه النبتة غير مستحبة لدى الكثيرين، إنها تجلب الحظ السّيء، والمصائب أيضا. تلمست فروع النبتة (...) قلت (...) صدقيني يا سلمى النبتة لا ذنب لها بمثل هذه الخرافات والأوهام. مسحت سلمى على رأسي بحنان، وهي تقول: هذه النبتة ذات فأل سيء يا صفصف صدقيني (...) وطلبت مني أن أرميها خارج المنزل (...) لم أرم بالأصيص بعيدا، بل وضعته في شرفة المنزل". (سليم، مرجع سابق)

لكننا الآن، لا نخفي ذلك الإشراق الذي شعرنا به عندما أزهرت العقربة أزهارها البنفسجيَّة اللون، فبعد أن أخفت صافي الأصيص في مكان منزوي من البيت توالت الأخبار السعيدة والأحداث البهيجة على العائلة، وهنا، جاءت سلمى مستبشرة مهنئة، مؤكدة أن سبب هذه السعادة العائلية؛ هو رمي نبتة العقربة بعيدا، لكنها، لم تعلم أن صديقتها تحضر لها مفاجأة "عدت وأنا أحمل أصيص النبتة، وقد تدلى منها العديد من الأزاهير البنفسجية التي تشبه الأجراس، وقفت سلمى مذهولة من رؤيتها، راحت تتحسسها بأناملها، تسبح الخالق على حسن إبداعه، قالت مبتسمة: لم ترمها إذن؟ أعترف لك بأنني لم أكن أعلم أن لهذه النبتة أزاهير رائعة". (المرجع نفسه)

إن القصَّة تستوفي عناصرها لا سيما الحبكة التي تقوم على شعورين عاطفيين متناقضين هما (التشاؤم والتفاؤل)، فالموقف الأخلاقي في التخلص من الخرافات والتطير وتحكيم العقل واضح جداً من خلال اللعبة السردية الحواريَّة الذكيَّة التي جرت على لسان الراوية، وهذا يصبُّ في إطار المنهج الفكري التربوي, وإسداء الطفل النصح بطريقة غير وعظيَّة. (إبراهيم، مرجع سابق)

ونلج الآن، مجموعة قصصية أخرى؛ وسمت بـــ" تاج الملك والنحلة المغرورة"، للحديث عن البنية السردية فيها؛ لأننا نعي جيدا أن السرد هو العمود الفقري للقصة والعمل الأدبي ككل، فالأديبة تكتب وفق طريقة سردية عالية، باعتبار أن السرد هو "الخطوات التي يقوم بها الحاكي، وينتج عنها النّص القصصي" (المرزوقي و شاكر، 1985، صفحة 78،77)، شرط أن تحافظ القصة –باعتبارها نوعا سرديا– على القالب الحقيقي لها؛ من مقدمة وعقدة وخاتمة، ولكن ليس بالمعنى التقليدي بل بأسلوب مختلف يتناسب مع التطور الفكري الذي يعيشه الطفل. (وكالة المساء نيوز: حوار أجري مع القاصة بعنوان "قصص الأطفال قد انحرفت عن مسارها الحقيقي, وجنحت نحو اللعب على الفكرة الواحدة،)

لكنها تؤمن تمام الإيمان أن السرد الموجه للطفل له أدواته الخاصة؛ من حيث اختيار الكلمات أو الحبكة أو الفكرة أو الشخصيات، التي تناسب العمر الزمني والعقلي للطفل. (إسماعيل)

فالقاصة تكتب بشفافية كبيرة، وتنسج سردها عبر جمل وصفية تنحاز إلى الأسلوب الشعري المنسوج من مفردات متداولة لا تثقل الطفل الصغير، فيمضي قارئا مستوعبا جمالياتها.

إن الحضور الإنساني والتواصل بين الأفراد في قصص الكاتبة هو قيمة مطلوبة بذاتها، ففي قصة (لنرسم أيضاً) ليس جمال اللوحة التي يرسمها الطفل على سبورة القسم مقصوداً لذاته، بل التفاعل بين التلاميذ، فسوسن ظنت أن "هادي" زار قريتها ورسمها، وشعر "سامر" كأنه يشم رائحة الأقحوان، بينما كانت "يسرى" تسرع لقطف شقائق النعمان، وخيل لـ "عليا" أنها تسمع زقزقة العصافير، ورغم ذلك يجد "هادي" أن لوحته ناقصة لخلوها من إنسان يتمتع بجمال الطبيعة ويستفيد منها. (ينظر: سامر أنور الشمالي: سريعة سليم حديد..قصص طفلية تنحاز للحب والخير والجمال)

وتتأكد مقولة الحضور الإنساني وضرورة التواصل في قصة (الكوكب الحزين)، ومحورها كان حول "طفل يقوم برحلة إلى كوكب المريخ، ولكنه لا يشعر بالسعادة؛ لأن ذلك الكوكب خال من الأشجار والحيوانات والطيور والبشر، لهذا سرعان ما يعود إلى الأرض، فقد شعر بالشوق، حتى إلى صديقه الذي كان متخاصماً معه". (المرجع نفسه،)

وهناك **موضوع** آخر تعالجه القاصة؛ وهو الدعوة إلى التّسامح بين الأطفال وغفران الأخطاء لتستمر الصداقة، ونجد هذا حاضرا في قصتها (حلو كالعسل). ( سريعة سليم حديد: تاج الملك والنحلة والغرور، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ، 2010)

والآن، هناك فكرة جديدة تعالجها الكاتبة، وهي موضوعة الحسد والغيرة في قصتين، واللافت للنظر أن هذه القيم السلبية لم تشأ الكاتبة أن تحملها للأطفال. (المصدر نفسه)

ففي القصة الأولى (زهرة اللوتس البيضاء) هناك نبتة ذات أوراق خضراء – لا غير – تحسد زهرة اللوتس البيضاء لشكلها الجميل ورائحتها العطرة، فتحاول الإيقاع بها، ولكن سرعان ما يرتد الشر إليها وتأخذ في الذبول تدريجياً. (المصدر نفسه)

أما في القصة الثانية (تاج الملك والنحلة المغرورة) فالنحلة المغرورة ترفض صداقة نبتة تاج الملك؛ لأنها لا تجد أي جمال في تلك النبتة الشوكية، ولكن سرعان ما تكتشف أن تلك النبتة الشوكية تستطيع تقديم ورود جميلة ومدهشة. (سريعة سليم حديد : تاج الملك والنحلة والغرور،)

القصة في الواقع تتلخص في محاولة زهرة الصبار أن تجتذب النحلة، إذ تشعر الأولى بأنها مخيفة بسبب شكلها فلم تجد غير أن تقدم لها زهرة كهدية لاجتذابها، لكن الشكوك تدور حول النحلة حيث تخشى الاقتراب منها، لتكتشف في النهاية أن زهرة الصبار فعلا تطمح لصداقتها، فتقدم لها زهرة لتمتص رحيقها. حينها، تدرك أن المظهر الخارجي ليس دليلا على حقيقة الأعماق، لرّبما نرى العكس. (ينظر: عبد السّادة جبّار: القاصة السورية سريعة سليم حديد. .. منهج مميز في كتابة قصص الأطفال،)

وهنا يتبادر لأذهاننا استعانة الكاتبة بالكائن غير الإنساني في قصتها لإسقاط معان إنسانية على السرد من خلال علاقة النحلة بزهرة الصبار، وبالتالي، نلاحظ اختيار القاصة التناقض الصارخ بين رقة النحلة والمظهر الخشن والقاسي لزهرة صبار، ويمكننا أن نسمي ذلك النوع من السرد بأنسنة غير البشر، وهو غالباً ما ينتشر في قصص الأطفال، لكن عند (سريعة حديد) يختلف السرد هنا، إذ لم تكتف بإيصال جوهر الفكرة بشكل بسيط

بل صورت صراعاً مستمراً وشكاً يجعلك تعتقد أن ثمة صراعا سوف ينشأ بين الطرفين. (المرجع نفسه، (بتصرف).)

وفي المجموعة نفسها ندخل عوالم قصة (رَامِزٌ والبُحَيْرَةُ)، حيث تستخدم القاصة طريقة السارد البطل إذ يحكي رامز مشكلته مع أمه التي تحرمه من الذهاب للسباحة في البحيرة خوفا عليه، يكتشف رامز الخطأ الذي ارتكبه في مخالفته لأمه؛ وهو الذهاب إلى البحيرة لكنه يعود خائفاً، ويحاول بالتعاون مع أخته أن يخفي المخالفة، لكن أمه تكتشف الأمر، وتعاقبه بحبسه في غرفته وحرمانه من مشاهدة التلفزيون، فيحاول أن يحتج لكن دون فائدة، وتدور في مخيلته أفكار وتساؤلات، إلا إنه ينتهي إلى نتيجة أنه مخطئ من خلال محادثته الذاتية، هو كذلك يرصد من الشباك أخته (زينة) تطل عليه، فيعرف ذلك من خلال ظهور شرائط شعرها الملوَّنة، فيدرك أن أمه هي التي حملتها لتلقي عليه نظرة من النافذة ولتطمئن عليه. (ينظر: سريعة سليم حديد، حبة التوت، 2014)

تمكنت القاصة أن تستدرج القارئ الطفل إلى موضوع مهم وحساس هو موضوع العلاقة بين صرامة الأهل ورغبات الأطفال، فبهذه الالتفاتة البسيطة يكتشف رامز أن أمه تحبه وتريد أن تجنبه المخاطر فيقتنع بأنها لم تكن تكرهه، فهذا الحرص الشديد دليل الحب، وإن الممنوع هو من أجل الحماية وليس من أجل الحرمان. (ينظر)

**الخاتمة:**

تتناول سريعة سليم حديد موضوعات طفولية تلامس هموماً ذاتية واجتماعية بلغة أقلُّ ما يقال فيها: إنها لغة قصصية بامتياز، تميل إلى السرد العفوي المنساب على نحو يشعر بألفة القاصة مع هذا الفن الجميل، وتمكّنها من أدواته بعد دربة أظنها طويلة، ومراسٍ بالأساليب المختلفة، تقليديةً وحداثيةً، على نحو لا يشك القارئ المثقف معها أنه أمام موهبة حقيقية، أزمعت على أن تنتمي بقوة إلى عائلة ممارسي هذا الفن الأصلاء، وأن تغوص بحثاً عن القيمة العليا.

وقصص سريعة سليم حديد عالم من المتعة والفائدة، فقد حرصت على تقديم عدد من القصص القصيرة، التي تنوعت موضوعاتها في مناح شتى وجدانية، علمية، تربوية، إنسانية، أخلاقية ...الخ، قدمت القاصة من خلالها عديد القيم الإنسانية التي من الواجب أن يتعلمها الطفل.

**– قائمة المراجع:**

**أولا: الكتب**

1- أحمد زلط. (1998). *أدب الطفل العربي (دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل)*. مصر: دار هبة النيل، ط1.

2- أحمد نجيب. (1992). *أدب الأطفال علم وفن: دراسات في أدب الطفولة*. القاهرة: دار الفكر العربي، ط1.

3- إعجاز أحمد. (جانفي – مارس 2019). أدب الأطفال: أهميته، فوائده، وخصائصه. *مجلة نقيب الهند*.

4- ربيع مفتاح. (2011). *زمن السرد العربي: قراءات في القصة والرواية*. مصر: وكالة الصحافة العربية، د.ط.

5- رشدي أحمد طعيمة. (1998). *أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية النظرية والتطبيق مفهومه وأهميته*. القاهرة: دار الفكر العربي، ط1.

*6- سريعة سليم حديد: تاج الملك والنحلة والغرور، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، .* (2010).

7- سمير المرزوقي، و جميل شاكر. (1985). *مدخل إلى نظرية القصة*. الجزائر: الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.

8- العيد جلولي. (بدون سنة نشر). *النص الأدبي للأطفال دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته*. ورقلة: مديرية الثقافة.

9- محمد حسن عبد الله. (بدون سنة نشر). *قصص الأطفال أصولها الفنية وروادها*. الإسكندرية: العربي للنشروالتوزيع، د.ط.

10- مفتاح محمد دياب. (1995). *مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال*. مصر وكندا: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1.

*11- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ، م. ج: .*

12- نجلاء نصير بثور: أدب الأطفال العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، أوراق عربية (31)، (ر.ط)،(د.ت).

**ثانيا: المواقع الإلكترونية**

13- إعجاز أحمد: أدب الأطفال: أهميته، فوائده، وخصائصه، مجلة نقيب الهند، جانفي – مارس 2019، على الرابط:

https://naqeebulhind.hdcd.in/أدب-الأطفال-أهميته،-فوائده-و-خصائصه/

*14- سامر أنور الشمالي: سريعة سليم حديد..قصص طفلية تنحاز للحب والخير والجمال*. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من http://thawra.sy/_print_veiw.asp?FileName=10279406420120108213611.

15- سريعة سليم حديد. (2013). *الأجراس البنفسجية*. سوريا: اتحاد الكتاب العرب على الموقع http://www.awu.sy/?page=category&category_id=67&lang=ar.

16- شعيب ابراهيم. *قراءة نقدية في عوالم القص الطفلي.. في المجموعة القصصية «الأجراس البنفسجية» ... أنموذجا*. تم الاسترداد من http://ouruba.alwehda.gov.sy/node/264913.

17- عيسى إسماعيل. *بنية السرد في قصص مدينة بلا عصافير*. تم الاسترداد من http://ouruba.alwehda.gov.sy/node/250451.

18- *وكالة المساء نيوز:* حوار أجراه مصطفى العم مع سريعة سليم حديد،. (بلا تاريخ). *قصص الأطفال قد انحرفت عن مسارها الحقيقي, وجنحت نحو اللعب على الفكرة الواحدة:*. تم الاسترداد من http://www.almassa-news.com/6729.